

الانزياح المركب: المفهوم والانماط
Compound Deviation: Concept and
Patterns

إعداد

ا.د. فائز الشرع
Prof. Dr. Faiz Al-Shara

Phone: 07709868277

Email: dr.faiz@uomustansiriyah.edu.iq

مريم علي حسين
Marem Ali Hussain

Phone: 07721880969

Email: 9s7m2a3ho@uomustansiriyah.edu.iq



ملخص:

يهدف هذا البحث الى تأصيل مفهوم الانزياح المركب في الدراسات الأسلوبية بوصفه صيغة متقدمة للانزياح تتجاوز حدوده البسيطة، من خلال اشتراك أكثر من ظاهرة انزياحية داخل بنية واحدة، بما يفضي إلى تشكيل مجال دلالي واسع تحكمه وحدة معنوية مركزية، وقد انطلق البحث من تحليل الجذور اللغوية الاصطلاحية لمفهوم الانزياح والتركيب، ثم تتبع تطور المفهوم في النقد الحديث عند عدد من النقاد، ولاسيما رومان جاكوبسون وجان كوهن وميشيل ريفاتير وعبد السلام المسدي وآخرين، للكشف عن تحوله من ظاهرة بلاغية إلى مبدأ بنيوي في تشكيل الخطاب الادبي.

واعتمد البحث منهجا تحليليا أسلوبيا، يقوم على الربط بين التراث البلاغي العربي والتصورات النقدية الحديثة وصولا إلى بناء تصور نظري متكامل للانزياح المركب، وقد خلص إلى تصنيف انماطه في ثلاثة مستويات رئيسة هي: الانزياح المركب الاقتراني القائم على التشبيه، والانزياح المركب الاستبدالي القائم على الاستعارة، والانزياح المركب بالمجاورة القائم على الكناية، مبينا أن هذه الأنماط لا تختلف بدرجة الانزياح بل بطبيعة الأداة البلاغية التي تنتجها.

وتبين ان قيمة الانزياح المركب تكمن في قدرته على تنظيم العلاقات داخل النص، وتوسيع دلالاته، وتعميق أثره الجمالي بما يجعله آلية فاعلة في انتاج المعنى وتحقيق شعرية الخطاب.

الكلمات المفتاحية: الانزياح، الانزياح المركب، الأسلوبية، التشبيه، الدلالة.

Abstract:

This study aims to establish the concept of compound deviation in stylistic studies as an advanced form of deviation that goes beyond its simple form. It is based on the interaction of multiple deviations within a single structure, leading to the formation of a broader semantic field governed by a unified central meaning. The research begins by examining the linguistic and terminological roots of the concepts of deviation and composition, then traces their development in modern criticism, particularly in the works of Roman Jakobson, Jean Cohen, Michael Riffaterre, and Abd al-Salam al-Masdi, highlighting the shift from a partial rhetorical phenomenon to a structural principle in literary discourse.

The study adopts a stylistic analytical approach that connects classical Arabic rhetoric with modern critical theories, aiming to construct a comprehensive theoretical framework for compound deviation. It identifies three main patterns: associative compound deviation based on simile, substitutive compound deviation based on metaphor, and contiguity-based compound deviation based on metonymy, demonstrating that these patterns differ not in degree but in the rhetorical device that generates them. The study concludes that the value of compound deviation lies in its ability to organize textual relations, expand semantic possibilities, and intensify aesthetic impact, making it an effective mechanism for meaning production and poeticity.

Keywords: Deviation, Compound Deviation, Stylistics, Simile, Semantics .

المقدمة

إنَّ البحث في المصطلحات النقدية المعاصرة يواجه جملة من الصعوبات تتصل بتعدد المرجعيات النظرية واختلاف المناهج التي صاغت المفاهيم ويعد مصطلح الانزياح من أكثر هذه المفاهيم إشكالاً، نظراً لتداوله في الدراسات الأسلوبية واللسانية والشعرية بمرادفات متعددة «العدول، الانحراف، الانحياز...» (المسدي، ٢٠٠٦، ص ٧٩-٨٠)، كما أن الدراسات التي تناولته لم تحط بجميع أنواعه، ولا سيما بما يُعرف بالانزياح المركب هنا يصبح إلزاماً أن يسبق التأصيل العلمي لهذا المفهوم بتحديد فكرة أو صورةٍ يسهل الإمساك بها وتحليلها، يمكن تأصيل مصطلح الانزياح المركب بتقسيمه إلى جزئين أساسيين:



وقبل الخوض في تحديد مفهوم الانزياح بوصفه مصطلحاً أسلوبياً مركباً، يجدر الوقوف عند البنية اللغوية لهذا المصطلح، ذلك أن فهم الجزء الأول منه أي الانزياح يساهم في الكشف عن الأبعاد التي يستند إليها المفهوم في صيغته الاصطلاحية، فالمصطلحات النقدية الحديثة ولا سيما تلك ذات الطبيعة التركيبية لا تنفصل دلالاتها الاصطلاحية عن جذورها اللغوية بل تتأسس عليها وتستمد منها مشروعيتها المفهومية لأن أي مصطلح يتكون من وحدة لغوية أو عبارة لها دلالة لغوية أصلية ثم أصبحت هذه الوجد أو العبارة تحمل دلالة اصطلاحية خاصة ومحددة في مجال أو ميدان معين لعلاقة ما تربط بين الدلالة اللغوية الأصلية والدلالة الاصطلاحية الجديدة (شريفة بنت إبراهيم بن محمد بن طالب، ١٩٨٧، ص ٧١).

ومن هذا المنطلق فإن الوقوف على لفظة الانزياح في أصلها اللغوي يعد خطوة منهجية ضرورية لأنها تمثل النواة الدلالية التي

يقوم عليها المصطلح بأكمله، إذ أن هذا المصطلح لا يبنى اعتباطاً، بل يتشكل من عناصر لغوية تحمل في طياتها دلالات أولية تتطور لاحقاً ضمن السياق النقدي لتأخذ ابعداً أكثر تخصصاً وسنأتي عليها تباعاً.

وعليه فإن تحلي لفظة الانزياح بوصفها وحدة معجمية مستقلة يمهّد الطريق لفهمها ضمن تركيبها الاصطلاحي، ويسهم في إدراك الكيفية التي انتقلت بها من معناها اللغوي الدال على الميل والانحراف إلى معناها النقدي الذي يرتبط بخرق الألوّف اللغوي وإعادة تشكيل البنية التعبيرية للنص الأدبي، ويستمد مفهوم الانزياح في أصله اللغوي من الجذر (نزع) الذي يدل على البعد والمفارقة والابتعاد عن الموضع الأصلي، فقد ورد في المعجمات العربية أن «نزع الشيء ينزع نزحاً ونزوحاً» أي بعد، كما يقال: «نزحت الدار» أي ابتعدت، ويوصف الشيء بـ«نازح» للدلالة على البعد، وهو ما يؤكد ارتباط هذا الجذر بالتنحي والابتعاد والمغايرة (ابن منظور، ١٩٩٧، ص ٦١٤)، وهذه الدلالة تمهّد لانتقال المصطلح إلى مجاله الاصطلاحي، حيث يفهم بوصفه خروجاً عن المألوف وانحرافاً عن النسق اللغوي المعتاد، فقد عُرف بأنه «استعمال المبدع للغة مفردات وتراكيب وصوراً استعمالاً يخرج به عما هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتصرف به من تفرد وإبداع وقوة جذب وأسر» (ويس، ٢٠٠٥، ص ٧).

كما ينظر بعض الدارسين إلى لانزياح بوصفه خرقاً مقصوداً للنظام اللغوي المألوف، إذ يقوم على أحداث مفاجأة تعبيرية تخرج عن المتوقع والمعتاد، وفي هذا السياق يعرف فتح الله أحمد سليمان الانزياح بأنه: انتهاك لغوي قائم على الإتيان باللامتوقع واللامنتظر من التعبير، يعول عليه المنشئ لغايات جمالية وفنية» وهو تعريف يبرز الطابع الإبداعي للانزياح ودوره في تشكيل البعد الجمالي للنص الأدبي، وكسر توقع القارئ بما يعبر عنه بعض النقاد بمفهوم خيبة الانتظار (سليمان، ٢٠٠٤، ص ٢٥).

وعليه يمكن القول أن الانزياح اصطلاحاً هو انحراف مقصود عن النظام اللغوي المعياري، يوظف داخل النص الأدبي لإنتاج دلالات

جديدة واحداث أثر جمالي في المتلقي.

الانزياح في الدراسات النقدية

يعد الانزياح من المفاهيم المركزية التي شكلت تحولاً نوعياً في الدراسات النقدية الحديثة، إذ انتقل من كونه ملاحظة بلاغية جزئية تتعلق ببعض الأساليب إلى كونه مفهوماً نظرياً شاملاً يفسر طبيعة اللغة الأدبية وآليات اشتغالها، ولم يعد الانزياح يفهم بوصفه خروجاً عرضياً عن المؤلف بل أصبح ينظر إليه بوصفه خاصية بنيوية تقوم عليها اللغة الشعرية وتتميز بها عن اللغة العادية.

وقد أسهمت اللسانيات البنيوية في ترسيخ هذا المفهوم، ولا سيما عند رومان ياكوبسون الذي ربط بين الانزياح بما سماه الوظيفة الشعرية للغة، إذ يرى أن هذه الوظيفة الشعرية « ليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة، بل هي فقط وظيفته المهيمنة والمحددة، مع أنها لا تلعب في الأنشطة اللفظية الأخرى سوى دور تكميلي وعرضي. ومن شأن هذه الوظيفة التي تبرز الجانب الملموس للدلائل أن تعمق بذلك الثنائية الأساسية للدلائل والأشياء. وبالإضافة إلى ذلك، لا يمكن للسانيات، وهي تعالج الوظيفة الشعرية، أن تقتصر على مجال الشعر». (ياكوبسون، ١٩٨٨، ص ٣١-٣٢) ويتحول الخطاب من مساره العادي إلى مسار جمالي، حيث تتحول اللغة من وسيلة لتقل المعنى إلى موضوع للتركيز في ذاتها، ففي هذا الإطار لا يقاس الخطاب بمدى مطابقته للواقع، بل بقدرته على إعادة تنظيم العلاقات اللغوية داخله، ومن هنا فإن الانزياح يتحقق عندما تسقط اللغة مبدأ التعادل (التشابه) من محور الاختيار إلى محور التأليف، فيغدو التشابه عنصراً بنيوياً في تركيب الخطاب، لا مجرد علاقة عابرة بين الألفاظ (ياكوبسون، ١٩٨٨، ص ٣٣) وبذلك يتحول الانزياح إلى آلية تنظيم البنية الداخلية للنص، وتعيد توزيع العلاقات بين عناصره.

ومن ثم يمكن فهم الانزياح بوصفه النتيجة المباشرة لهيمنة الوظيفة الشعرية إذ إن تركيز اللغة على ذاتها وإعادة توزيع العلاقات بين عناصرها يؤديان إلى خروج منظم عن الاستعمال المؤلف لا بوصفه

انحرافاً عرضياً بل بوصفه آلية بنيوية تُسهم في تشكيل الدلالة داخل النص.

ويعد كتاب بنية اللغة الشعرية لجون كوهن من أبرز الأعمال التي سعت إلى تقديم تصور نظري متكامل لطبيعة الشعر، إذ ينطلق فيه من سؤال جوهري يتعلق بماهية الشعر ليخلص إلى أنه يقوم على مبدأ الانزياح أي الخروج المنظم عن النمط اللغوي المألوف اجتماعياً غير أن هذا الخروج لا يكتسب صفة الشعرية إلا إذا كان محكوماً بنظام يضبطه بحيث لا يتحول إلى خلل أو لا معقول بل يظل مندرجاً ضمن بنية لغوية ذات دلالة جمالية (كوهن، ١٩٩٠، ص ٢٣).

وفي هذا الإطار يميز كوهن بين مستويين للغة: مستوى عادي يمثل النثر بوصفه التعبير السائد والمألوف ومستوى آخر يتمثل في الشعر بوصفه تجاوزاً لهذا المعيار، فالنثر في تصوره يخضع لقوانين الاستعمال الاعتيادي في حين قوم الشعر على خرق هذه القوانين وتجاوزها الأمر الذي يجعل درجة الشعرية قابلة للقياس بمدى ابتعاد الخطاب عن هذا المستوى العادي (كوهن، ١٩٩٠، ص ٢٣).

وتقوم نظرية الانزياح عند كوهن على ثنائية أساسية هي ثنائية المعيار والانزياح، حيث يفهم الأسلوب من خلال علاقته بالقاعدة اللغوية التي ينحرف عنها، وقد تأثر في هذا التصور بالاتجاه الأسلوبية الذي مثله ليوسبتر الذي يرى «أن الأسلوب انزياح فردي قياساً إلى القاعدة» غير أن كوهن طور هذا المفهوم ليجعله أكثر شمولاً، إذ لم يعد الانزياح عنده ظاهرة فردية فحسب بل أصبح سمة عامة للغة الشعرية تقوم على مبدأ ثابت يتمثل في الخروج المنظم عن المعيار (السد، ١٩٩٧، ج١، ص ١٨٩).

كما وسع كوهن دائرة المفهوم باستعماله مجموعة من المصطلحات القرينة من الانزياح مثل الاختلاف والمخالفة والانتهاك وهي المفاهيم تلتقي جميعها في التعبير عن فكرة الخروج عن النسق اللغوي المألوف ومن ثم فإن الشعرية لا تتحقق في نظره - إلا بقدر ما يكون هذا الانزياح مقصوداً وفاعلاً داخل الخطاب، إذ أن القيمة الإبداعية للشاعر لا تكمن فيما يعبر عنه من أفكار بقدر

ما تتجلى في قدرته على إعادة تشكيل اللغة وإنتاج علاقات جديدة داخلها.

وبذلك يرسخ كوهن تصورا يجعل اللغة الشعرية مستوى مغايرا للغة العادية، حيث تتحقق الشعرية من خلال الانزياح المنظم الذي يمنح الخطاب خصوصيته الجمالية ويحول اللغة من أداة للتعبير إلى موضوع الإبداع في حد ذاته.

ويعد ميشيل ريفاتير من أبرز النقاد الذين أعادوا صياغة مفهوم الانزياح في إطار أسلوب حديث، إذ لم ينظر إليه بوصفه مجرد خروج شكلي عن القاعدة اللغوية بل بوصفه ظاهرة دلالية تتحدد داخل السياق النصي ذاته، فالانزياح عنده يتحقق عندما ينكسر النسق اللغوي المتوقع داخل النص، ويستبدل بعنصر مخالف يلفت انتباه القارئ، فينشأ ما يعرف بالمسلك الأسلوبى ومن ثم لا يقاس الانزياح بمقارنة النص بلغة معيارية خارجية، بل من خلال التوتر الذي يحدث داخل البنية النصية نفسها (الدوسري، ٢٠٢٥، ص ١٦).

كما يؤكد ريفاتير أن الدلالة لا تنتج عن انزياح مفرد بل عبر تراكم مجموعة من الظواهر الأسلوبية في موضع واحد، بحيث تتفاعل هذه العناصر فيما بينها لتوليد بنية دلالية مركبة، وهو ما يمنح النص كثافته التعبيرية ويضاعف أثره الجمالي، ويترتب على ذلك أن الانزياح يصبح جزءا من نظام داخلي متكامل، لا مجرد انحراف عارض (الدوسري، ٢٠٢٥، ص ١٦).

ومن جهة أخرى يرتبط الانزياح عند المتلقي ارتباطا وثيقا بالمتلقي، إذ لا يدرك الا من خلال استجابة القارئ لما يفرض نفسه على وعيه داخل النص، حيث يعرف الأسلوب بأنه ما يلفت الانتباه ويستدعي التأويل وبذلك يغدو الانزياح ظاهرة ادراكية بقدر ما هو ظاهرة لغوية، تتأسس على التفاعل بين النص والقارئ في آن واحد (الدوسري، ٢٠٢٥، ص ١٧).

وعلى صعيد النقد العربي الحديث، يقدم عبد السلام المسدي تصورا نظريا لمفهوم الانزياح إذ يجعله محورا أساسيا في التفكير الأسلوبى الحديث، حيث يرى أن معظم الاتجاهات التي تتخذ من الخطاب منطلقا

بوصفه أداة تفسيرية لتعريق الأسلوب تلتقي عند مقياس نظري مشترك يتمثل في مفهوم الانزياح تقاس من خلالها خصوصية التعبير الأدبي، ولا يستمد هذا المفهوم دلالاته من الخطاب الجزئي كالنص أو الرسالة، بل من العلاقة التي تربط هذا الخطاب بالنسق اللغوي العام، أي اللغة بوصفها نظاما كلياً ومن هنا يغدو الانزياح مفهوما نسبياً لا يدرك إلا في ضوء ما ينحرف عنه إذ يقوم على ثنائية تقابلية تجعل فهمه مرهونا بوجود معيار سابق يقاس عليه (المسدي، ٢٠٠٦، ص ٩٧-٩٨).

وانطلاقاً من هذا التصور، يوسع المسدي دائرة النظر في الظاهرة اللغوية فيربطها يتقاطع مستويين أساسيين: أولهما مستوى أصلي نفعي يمثل الاستعمال المألوف للغة في وظيفتها التواصلية، وثانيهما مستوى طارئ يتجاوز هذا الاستعمال نحو بناء تعبير جديد، ويظهر هذا التقاطع أن اللغة ليست بنية جامدة بل فضاء ديناميكي تتداخل فيه القواعد المستقرة مع إمكانيات التغيير الأمر الذي يفتح المجال أمام الانزياح ليؤدي وظيفته في إعادة تشكيل الخطاب (المسدي، ٢٠٠٦، ص ١٠٥).

وفي سياق إبراز القيمة الأسلوبية للانزياح يؤكد المسدي أن أهميته تمكن في كونه يعكس العلاقة المعقدة بين الإنسان واللغة فالإنسان بوصفه كائناً ناطقاً يعجز عن الإحاطة بكل إمكانيات اللغة وقوانينها كما أن اللغة في المقابل لا تستجيب دائماً لحاجاته التعبيرية كافة ومن ثم يصبح الانزياح وسيلة لتعويض هذا التصور المتبادل حيث يلجأ المتكلم إلى إعادة توظيف اللغة وتجاوز أنماطها المألوفة من أجل التعبير عن تجارب أكثر عمقا وتعقيدا (المسدي، ٢٠٠٦، ص ١٠٦). وبناء على ذلك ينتهي المسدي إلى تصور الانزياح بوصفه عملية مزدوجة تقوم على الاحتيال الإبداعي يتمثل من جهة في محاولة الإنسان تجاوز حدود اللغة ومن جهة أخرى في تجاوزه لحدود ذاته التعبيرية بما يسمح بإنتاج خطاب يتسم بالثراء والدلالة المتجددة وبهذا المعنى يغدو الانزياح مكوناً جوهرياً في بناء الأسلوب والية فاعلة في تحقيق شعرية اللغة.

وكذلك كمال أبو ديب من أبرز النقاد الذين سعوا إلى تأصيل مفهوم الانزياح في النقد العربي الحديث، إذ عمل على إعادة بنائه ضمن إطار نظري يربطه مباشرة بتحقيق الشعرية وينطلق أبو ديب من فكرة أساسية مفادها أن اللغة في استعمالها التواصل العادي أي في بعدها المعجمي المباشر لا تمتلك القدرة على إنتاج خطاب شعري ما لم يحدث فيها خرق لبنيتها الخطية والدلالية، ومن هنا يغدو الانزياح طاقة فاعلة تسهم في توليد الشعرية، لا بوصفه ظاهرة جزئية مرتبطة بعنصر واحد كالصورة أو الوزن، بل بوصفه بنية كلية تنشأ من تفاعل شبكة من العلاقات المتداخلة داخل النص (أبو ديب، ١٩٨٧، ص ٢١).

وفي هذا السياق، يقدم أبو ديب تصورا للانزياح بوصفه فضاء دلاليا يتكون نتيجة إدخال عناصر لغوية أو وجودية في سياق جديد، بحيث تنشأ بينهما علاقات مزدوجة: علاقات تبدو منسجمة مع طبيعتها الوظيفية المألوفة، وأخرى تقوم على مبدأ الاختلاف أو اللاتجانس، وهو ما يؤدي إلى توليد بنية لغوية جديدة تتجاوز المألوف ويفضي هذا التداخل إلى خلق ما يسميه (الفجوة أو مسافة التوتر) وهي المسافة التي تنشأ بين اللغة المستقرة في الوعي الجمعي واللغة المبتكرة داخل النص الأدبي، وتعد أساسا في إنتاج الدلالة الشعرية (أبو ديب، ١٩٨٧، ص ٣٨-٣٩).

ولا يقتصر إسهام أبو ديب على هذا التصور، بل يتجاوزه إلى بناء نموذج تحليلي قائم على محورين أساسيين هما: المحور المنسقي والمحور التراصفي، وهما ما يقتربان في جوهرهما من ثنائية المحور التركيبي والمحور الاستبدالي في اللسانيات الحديثة، فالمحور المنسقي يتصل باختيار العناصر اللغوية ضمن سياق معين وغالبا ما ينطوي هذا الاختيار في الخطاب الشعري على خرق للتوقع بما يحقق الانزياح، أما المحور التراصفي فيتعلق بكيفية تنظيم هذه العناصر داخل البنية اللغوية، بحيث تدرج ضمن نسق متماسك الأمر الذي يسهم في تعميق فجوة التوتر داخل النص (أبو ديب، ١٩٨٧، ص ٢٢-٢٣).

ومن جهة أخرى، يشير حسن ناظم إلى وجود تقاطع بين تصور أبي

ديب للشعرية ومفهوم الانزياح عند جان كوهن، إذ يقوم كلاهما على مبدأ الخروج عن المعيار غير أن أبا ديب لا يجعل النثر معيارا يقاس عليه الشعر بل ينظر إلى النص الأدبي - بغض النظر عن جنس بوصفه مجالا تتحقق فيه الشعرية من خلال هيمنة الاسلوبية، كما يضيف بعدا مهما يتمثل في دور المتلقي، حيث لا تكتمل فجوة التوتر إلا من خلال تفاعل القارئ معها، وهو ما يمنح الشعرية بعدا تداوليا يتجاوز حدود البنية اللغوية (ناظم، ١٩٩٤، ص ١٢٤).

وبذلك يتضح أن مشروع كمال أبو ديب يمثل محاولة لتطوير مفهوم الانزياح في سياق عربي من خلال ربطه بمفهوم الشعرية وتوسيعه ليشمل التفاعل بين النص والمتلقي، مما أسهم في إغناء الدراسات النقدية العربية وتعميق فهم آليات إنتاج المعنى داخل الخطاب الأدبي.

وبعد الانتهاء من لفظة الانزياح وبيان معناها اللغوي والاصطلاحي وللوقوف على دلالة مصطلح لفظة المركب بوصفه جزءا من مفهوم الانزياح المركب، لابد من التمهيد له عبر استحضار المفهوم المقابل له وهو البساطة، إذ إن ادراك المعنى لا يتحقق إلا من خلال هذا التقابل الذي يوضح طبيعة كل منهما وحدوده، فالبساطة تمثل الحالة الأولية للخطاب من حيث الوضوح وخلوه من التعقيد في حين يشير التركيب إلى تداخل العناصر وتشابك العلاقات بينها ومن هنا فإن الانتقال من البساطة إلى التركيب لا يعني مجرد التعقيد، بل يعكس تحولا في طريقة بناء المعنى وانتقاله من المستوى المباشر إلى مستوى أكثر عمقا وتراكبا وهو ما يقتضي الوقوف أولا عند مفهوم البساطة مهدين بذلك لفهم طبيعة التركيب.

فتعدو البساطة إلى الجذر اللغوي (ب س ط) وقد وردت في المعجمات العربية بمعان متعددة تدور في مجملها حول السهولة والوضوح والخلو من التعقيد، إذ يقال: بسط الشيء، أي خلا من التعقيد وصار سهلا يسيرا ويقال: بسط الجواب، أي أوضحه وفصله، كما تستعمل للدلالة على السلوك الطبيعي غي المتكلف، فيقال: تبسط في كلامه أي تحدث بغير كلفة، وعلى الاتساع والانبساط

في المكان أو الحال ، وقد ورد في معجم اللغو العربية المعاصرة أن البساطة تعني سهولة الأسلوب ووضوحه ، وأن الأمر البسيط هو ما كان هينا غير مركب ولا معقد.(عمر، ٢٠٠٨، ج١، ص ٢٠٣-٢٠٥، بتصرف) في حين يؤكد معجم الوسيط هذا المعنى بجعل البسيط نقيضا للمركب أي ما لا تعقيد فيه (مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٨، ص ٥٦) . وانطلاقا من ذلك يمكن القول أن البساطة تمثل حالة من الوضوح واليسر، تتسم بخلوها من التعقيد والتداخل سواء في البنية أم في الدلالة أم في طريقة الأداء، وهي بذلك تقابل التركيب الذي يقوم على تعدد العناصر وتشابك العلاقات ويستلزم ذلك جهدا أكبر في الفهم والتحليل.

ويقدم صالح خليل أبو الإصبع في كتابه الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة تقسيما بنويا للصورة الشعرية يسهم في تيسير مقاربتها نقديا، إذ يميز بين ثلاثة مستويات متدرجة هي: الصورة المفردة (البسيطة)، والصورة المركبة والصورة الكلية ويؤكد أن هذا التقسيم ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة إجرائية لفهم الصورة الشعرية من خلال تتبع تطورها « من أبسط أشكالها إلى أكثرها تعقيدا وتركيبا » (أبو أصبع، ٢٠٠٩، ص ٥٢) .

وفي هذا الإطار، تحتل الصورة المفردة (البسيطة) موقعا تأسيسيا بوصفها أدنى درجات البناء التصويري التي تبني عليها المستويات الأعلى ، فهي تمثل أبسط مكونات التصوير في القصيدة، إذ تجسد جزءا محددا من التجربة أو لقطة جزئية أو إحساسا محددا غي انها في الوقت ذاته تعد اللبنة الأولى في بناء الصورة المركبة ثم الكلية ، ومن هنا يرى أبو الإصبع أن القصيدة تتشكل من سلسلة مترابطة من الصور تبدأ بالصورة المفردة (البسيطة) التي تلتقط « أبسط جزئيات التصوير » ثم تتنامى غير تفاعلها لتنتج صورة مركبة، وتنتهي إلى صورة كلية تعبر عن جوهر التجربة الشعرية (أبو أصبع، ٢٠٠٩، ص ٥٣).

لذا لا تعد الصورة المفردة مجرد تعبير عابر، بل تمثل أداة فاعلة في نقل أبعاد التجربة الشعرية، ولهذا يفرد أبو أصبع حيزا لبيان

طرائق بنائها مشيراً إلى ثلاثة مسالك رئيسة يعتمدها الشعراء هي: تبادل المدركات، حيث تمنح المعاني المجردة صفات حسية (التجسيد) أو تضافى على الجمادات صفات إنسانية (التشخيص) أو تجرد المحسوسات من ماديتها (التجريد) وتراسل الحواس من خلال تبادل الصفات بين الحواس المختلفة بما يوسع افق الإدراك ثم بناء الصورة عن طريق التشبيه والوصف المباشر، حيث يستثمر التماثل الحسي أو المشهدي لإنتاج صورة قد تظل في حدود الحس أو تتجاوزه إلى أبعاد نفسية ورمزية (أبو أصبع، ٢٠٠٩، ص ٥٦).

وإذا نظرنا إلى هذه الوسائل من زاوية اسلوبية، فأنها تمثل أشكالاً مختلفة من العدول عن الاستعمال اللغوي الألق، إذ يتحول المعنى المجرد إلى كيان محسوس أو تمنح الجمادات صفات إنسانية أو تتبادل الحواس وظائفها، فينتقل الخطاب من المستوى التقريرى إلى المستوى التخيلي، ومن هنا يمكن القول أن الصورة المفردة كما يصورها أبو الإصبع تمثل في ضوء الدراسات الأسلوبية نوعاً من الانزياح البسيط وانطلاقاً من هذا الأساس مع ما ذكرنا من تعريفات للانزياح يمكن تعريف الانزياح البسيط بأنه: الخروج المحدود عن المؤلف في الاستعمال اللغوي بقصد إضفاء جمالية على النص أو إثارة أثر عاطفي أو فكري لدى المتلقي، معتمداً في ذلك على أداة بلاغية واحدة من الأدوات الرئيسية للانزياح، دون أن يتراكم معه مزيد من الصور أو التركيبات المعقدة وبهذا يظل النص محتفظاً بقدر من السهولة والوضوح يسمح للقارئ باستيعابه مباشرة من غير عناء في التأويل.

ويتخذ الانزياح البسيط صورتين أساسيتين:

- 1. الانزياح الاستبدالي:** وهو ما يتمثل في اعتماد أحد أدوات البيان كالاستعارة أو التشبيه أو الكناية، حيث يُستبدل المعنى المؤلف بصورة بيانية منفردة تُحدث الأثر البلاغي المطلوب.
- 2. الانزياح التركيبي:** ويتحقق من خلال إحدى الآليات التركيبية مثل التقديم والتأخير، أو الحذف، أو الالتفات، حيث يُكسر النظام المؤلف للجملة لكسب تنويع أسلوبى من غير أن يخل بالمعنى العام.



ويمتاز هذا النوع من الانزياح بأنه موجز وبسيط، إذ لا يتطلب من القارئ جهداً ذهنياً كبيراً لفك دلالاته، بخلاف الانزياح المركب الذي سنأتي على ذكره لاحقاً وعليه يمكن القول إن الانزياح البسيط هو الانزياح العادي أو المباشر سواء تحقق في صورته الاستبدالية أم في صورته التركيبية، بحيث يبقى الانحراف جزئياً لا يطال البنية الكلية للنص وهذا النوع هو الأكثر حضوراً في النصوص الأدبية لأنه الوسيلة المباشرة لإحداث الأثر الجمالي في العبارة أو الصورة دون أن يفضي إلى تعقيد يعسر معه الفهم أو يعيق التواصل.

بهذا المعنى يشكل الانزياح البسيط اللبنة الأولى لبناء نظرية أكثر شمولاً للانزياح إذ يمكن عدّه النواة الأولية التي تتفرع عنها بقية الأنواع -المركب تحديداً- وتكمن أهميته في جعله معياراً يمكن من خلاله التأصيل لمصطلحنا.

وبالانتقال إلى لفظ المركب نجد أن مفهوم التركيب يرتبط في دلالاته اللغوية بجملة من المعاني التي تدور حول الجمع والتأليف والضم، فقد أشار الفيروز آبادي إلى أن التركيب يعني وضع الشيء على بعض حتى يتكون منه كيان واحد متماسك (الفيروز آبادي، د.ت، ج ١، ص ٩٨). كما يرد في المعجم الوسيط أن التركيب هو تأليف الشيء من مكوناته البسيطة، بحيث يضم بعضها إلى بعض لتشكيل وحدة واحدة، وهو ما يقابله التحليل بوصفه تفكيكاً لهذه الوحدة (مجمع اللغة العربية، د.ت، ج ١، ص ٣٦٨).

وتتفق المعجمات العربية القديمة على هذا المعنى، إذ يبين الزبيدي أن التركيب يقوم على ضم الأجزاء بعضها إلى بعض لتشكيل بنية متكاملة (الزبيدي، د.ت، ج ٢، ص ٣٥-٣٦)، كما يشير الجواهري إلى المعنى ذاته في أطار التأليف بين العناصر المختلفة (الجواهري، ١٩٩٠، ج ١، ص ١٣٩)، ويعزز ابن منظور هذا التصور حين يربط التركيب بمعاني التراكم أي اجتماع الأجزاء بعضها فوق بعض في بنية واحدة (ابن منظور، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٢٨).

وعليه، يمكن القول أن التركيب في دلالاته اللغوية يقوم على مبدأ الجمع بين عنصرين أو أكثر في إطار واحد، بحيث تتكامل هذه العناصر

لتكون وحدة دلالية متماسكة، وهو ما يجعل مفاهيم الجمع والتأليف والتراكب تلتقي جميعها في جوهر واحد هو بناء الكل من الأجزاء. أما في الاصطلاح فقد ورد مفهوم التركيب في عدد من العلوم ولاسيما في الدرس النحوي حيث يدل على اجتماع عنصرين لغويين أو أكثر في سياق واحد تربط بينهما علاقة معنوية تنتج دلالة جديدة، فقد أشار سيبويه إلى أن التركيب يقوم على اجتماع كلمتين أو أكثر في إطار من العلاقة المعنوية التي تكسب الكلام دلالته (سيبويه، دت، ج، ص ١٣٤).

كما يتسع مفهوم التركيب عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ليشير إلى أن العناصر اللغوية حين تجتمع تكتسب حكما جديدا لم يكن لها قبل التركيب، بما يدل على أن المعنى لا يتحقق إلا من خلال العلاقات التي تنشأ بين هذه العناصر (السامرائي، ١٩٨٧، ص ٤٦)

وقد أولى عبد القاهر الجرجاني عناية خاصة بمفهوم التركيب من خلال نظريته في النظم حيث نظر إليه بوصفه تأليفا قائما على ترتيب المعاني في النفس وربطها بعضها ببعض على نحو ينتج الدلالة، ويؤكد أن الكلام لا يكتسب نظامه إلا بتعلق اجزائه وتربطها، إذ يقول: «لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض» (الجرجاني، ١٩٨٣، ص ٤٦)

وعليه يمكن تعريف التركيب في اصطلاح النحويين بأنه تأليف كلمتين أو أكثر في سياق واحد، بحيث تنشأ منهما وحدة دلالية مستقلة، إذ لا تعد الكلمة المفردة تركيبا إلا إذا انتظمت مع غيرها في بنية تقتضي إلى معنى جديد.

أما في علم البلاغة فعرف علي بن محمد الجرجاني مفهوم التركيب بأنه اجتماع أجزاء متعددة دون اشتراط التقدم والتأخر بينها (الجرجاني، ٢٠٠٣، ص ٦٠)، والتركيب عنده يركز على مبدأ التأليف والاندماج في وحدة دلالية متكاملة.

ويمثل مفهوم الانزياح المركب امتدادا متقدما لفكرة العدول عن المعيار اللغوي، إذ لا يقتصر على انحراف واحد بسيط، بل يقوم على تراكم هـد من الانزياحات الجزئية داخل بنية لغوية واحدة، بما يفضي

الى توليد دلالات متعددة ذات طابع جمالي وفكري مركب، فالنص في هذه الحالة لا يكتفي بتوظيف أداة بلاغية مفردة، بل يعمد الى دمج أكثر من أداة كالتشبيه والاستعارة والكناية في سياق واحد بحيث تتآزر هذه الأدوات في انتاج معنى مركزي موحد (ويس، ص ٢٦؛ المسدي، ٢٠٠٦، ص ١٠٣)

ويرتبط هذا التصور بمفهوم الصورة المركبة في البلاغة، التي تقوم على حشد صور جزئية متألّفة تعبر عن تجربة معقدة لا تستوعبها صورة مفردة واحدة (أبو أصبع، ٢٠٠٩، ص ٧٤)، كما تتجلى هذه الفكرة فيما سماه لعض النقاد بالصورة المكتظة، حيث تتوالد الصور داخل بنية واحدة بما ينتج شبكة تصويرية متداخلة تماثل في بنيتها ما يعرف بالانزياح المركب (صالح، ١٩٩٤، ص ١١٤)

ويقدم الدكتور فائز الشرع مفهوم الصورة الكلية (المركبة) بوصفها انتقالاً من النظر الى الصورة الشعرية كوحدة بسيطة منفصلة الى التعامل معها باعتبارها بنية تركيبية واسعة تتكون من شبكة من العناصر المتضافرة، وينتقد العريفات التقليدية التي تقف عند حدود الصورة الجزئية مقترحاً فهم الصورة الكلية في ضوء ما تنهض عليه من تركيب لغوي قوي، يجعلها أقرب الى رسم قوامه الكلمات لا مجرد لقطة معزولة (الشرع، ص ١٦).

وانطلاقاً من هذا التصور لا تفهم الصورة الكلية بوصفها عنصراً مفرداً بل بوصفها نسقاً لغوياً متشابكاً يتولد فيه المعنى من طريقة تأليف الكلمات وتجاوزها داخل السياق لا من كل مفردة على حدة، كما يرى أن هذه الصورة تعبر عن فكرة كلية تجسد تجربة ناضجة بحيث تتخذ القصيدة بأكملها مجالا واسعا لتحقيق دلالاتها (الشرع، ص ٢٤).

وعليه، يمكن النظر إلى الصورة الكلية باعتبارها إطاراً يحتضن مجموعة من الصور الجزئية المتألّفة التي تتكامل فيما بينها لتشكل مشهداً واحداً متماسكاً، يُخلف أثراً كلياً في المتلقي بدلا من أن يكون مجرد تجاوز لانطباعات متفرقة.

ومن زاوية أسلوبية، يمكن النظر إلى هذا التراكم بوصفه نوعاً من التضافر الأسلوبى، حيث تتجمع إجراءات بلاغية متعددة في موضع

واحد، بحيث يضيف كل عنصر منها إلى غيره قوة تعبيرية جديدة، وهو ما أشار إليه ريفاتير بوصفه «إركاما لإجراءات أسلوبية مستقلة تتضافر لإنتاج تأثير دلالي مكثف» (ريفاتير، ١٩٩٣، ص ٦٦).

كما تتقاطع هذه الرؤية مع مفهومي التداخل والتراكب عند المسدي، إذ يشير التداخل إلى امتزاج العناصر الأسلوبية وتجدها داخل السياق، بينما يدل التراكب على انتظام هذه العناصر في بنية متألّفة تتكامل فيها الأجزاء لتشكّل كيانا دلاليا واحدا (المسدي، ١٩٨٣، ص ٧٨).

وتبرز أهمية الاتساع الدلالي بوصفه نتيجة مباشرة لهذا التراكب، إذ يؤدي تعدد الأدوات البلاغية إلى توسيع مجال الدلالة وإغنائها، بحيث تنتج الكلمة أو الصورة أكثر من معنى ضمن السياق الواحد (عمر، ٢٠٠٤، ص ٢٤٣)، وقد أكد البلاغيون هذا المعنى حين ربطوا المجاز بالاتساع، إذ يعد المجاز وسيلة لتكثير المعاني وتوسيع آفاق التعبير (ابن جني، ١٩٨٦، ج ٢، ص ٤٤٤؛ ابن القيم، د.ت، ص ١٠).

وفي هذا السياق، يرى عبد القاهر الجرجاني أن المجاز والاتساع طريق واحد، يقوم على نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنى آخر مناسب، بما يفتح المجال أما تعدد الدلالات (الجرجاني، ٢٠٠٤، ص ٢٠٨). كما يؤكد أن جمال الخطاب يتعزز بقدر ما يتسع المعنى ويتعدد، وهو ما يجعل المجاز أداة أساسية في بناء النص الأدبي وإثرائه (المراغي، ١٩٩٣، ص ٢٩٤).

وفي ضوء ما تقدم من بيان دلالة الانزياح والتميز بين البساطة والتركيب وما يقابلهما في مستويات الصورة البسيطة والمركبة، تبين أن الانزياح لا يقتصر على صورته المفردة، بل قد يتسع ليأخذ طابعا تركيبيا يقوم على تراكب عدد من الانحرافات داخل سياق واحد، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند مفهوم الانزياح المركب.

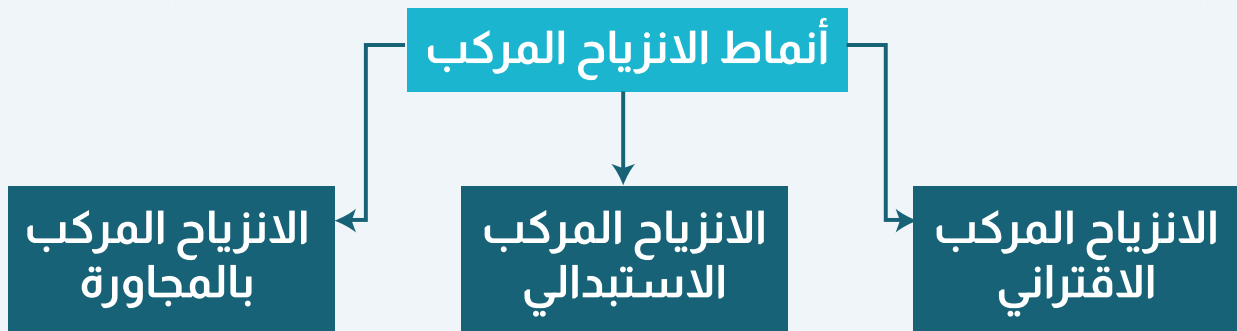
وبذلك يمكن تعريف الانزياح المركب بأنه: خروج الكلام عن الاستخدام المألوف للغة باستخدام أداتين بلاغيتين أو أكثر في آن واحد مما ينتج تأثيرا فنيا مركبا وغنيا بالدلالات فهو يهدف إلى خلق طبقات متعددة من المعنى مما يتطلب من المتلقي تأمل النص وفك تشابك أدواته البلاغية فهو يضيف عمقا على النص عبر تراكب الصور البلاغية مما

يحفز القارئ على اكتشاف العلاقات الخفية بين العناصر كما أنه يخلق غموضاً مقصوداً يزيد من جمالية النص شرط أن لا يفقد المعنى وضوحه فبوجود الانزياح المركب يتحول النص إلى لوحة فنية تجمع بين الألوان (الأدوات) المختلفة أو المتشابهة ولكن متعددة .

الخلاصة: هو اشتراك أكثر من ظاهرة انزياحية لتشكيل مجال انزياحي أوسع منه في الانزياح البسيط شرط أن يكون هذا المجال الانزياحي الواسع معبراً عن دلالة مركزية أو سياق شامل وبذلك تكون الدلالة واحدة على الرغم من اختلاف التراكيب المنزاحة.

أنماط الانزياح المركب:

يُبنى مفهوم الانزياح المركب على اشتراك أكثر من ظاهرة انزياحية داخل بنية واحدة، بحيث تتآزر هذه الانحرافات الجزئية لتشكّل مجالاً انزياحياً أوسع من الانزياح البسيط، على أن يظل هذا المجال محكوماً بدلالة مركزية واحدة، مهما تعددت صوره وتراكيبه. وبناءً على ذلك، فإن أنماط الانزياح المركب لا تتحدّد باعتبار درجة الانحراف، بل بحسب طبيعة التركيب المنزاح نفسه، أي بحسب الأداة التعبيرية التي يتم من خلالها توليد هذا الانزياح. ومن هنا يمكن التمييز بين ثلاثة أنماط رئيسية هي:



أولاً: الانزياح المركب الاقتراضي:

يستند الانزياح المركب الاقتراضي في جذوره إلى التصور البلاغي العربي للتشبيه بوصفه بنية تقوم على الجمع بين طرفين تربطهما علاقة مشابهة، وهو ما جعل البلاغيين يعدونه من أبرز أدوات بناء الصورة

(الهاشمي، ٢٠١٠، ص ٢٢٥) غير ان هذه البنية لم تعد في النقد الحديث مجرد علاقة مفردة، بل غدت قابلة للتوسع عبر تكرارها داخل السياق الواحد، بما يفضي الى تكوين شبكة من العلاقات المتشابهة التي تتكامل في انتاج المعنى.

وفي ضوء التصور الاسلوبي ولاسيما رومان جاكوبسون تتحول علاقات المشابهة من كونها علاقة جزئية الى مبدأ بنيوي يحكم بناء الخطاب، عبر اسقاط محور الاختيار على محور التأليف، وهو ما يجعل التشبيه عنصرا فاعلا في تشكيل البنية الشعرية للنص (جاكوبسون، ١٩٨٨، ص ٣٣؛ فضل، د.ت، ص ٥٢) ومن ثم فأن تكرار التشبيه داخل النص لا يؤدي وظيفة التوضيح، بل يتحول الى آلية توليد دلالي.

ويتأسس هذا النمط على ان التشبيه حين يتكرر داخل سياق واحد، لا يعمل بوصفه صورة منفردة، بل بوصفه نسقا من الصور المتفاعلة التي تنتج دلالة مركزية واحدة، فالمعنى لا يستمد من كل صورة على حدة، بل من تأزرها داخل البنية النصية، وهو ما يتوافق مع التصور الاسلوبي الذي يرى ان الدلالة نتاج العلاقات بين العناصر لا العناصر نفسها (خليل، ١٩٩٧، ص ٧٧) كما يسهم هذا التراكم في تعميق الأثر الجمال وتوسيع افق التأويل (صالح، ١٩٩٤، ص ١١٤).

ومن هنا جاءت تسمية هذا النمط بالاقتراني، لقيامه على تكرار علاقة الاقتران (المشابهة) داخل النص، بحيث تتعدد المشبهات ضمن بنية واحدة، دون ان تفصل عن مركز دلالي موحد ويشترط في هذا التراكم ان يكون وظيفيا موجه نحو معنى واحد لا مجرد تكديس صوري، اذ ان الانزياح لا يتحقق الا اذا كان مبررا داخل بنية النص وقابلا للتأويل (حشايشي، ٢٠٢٥، ص ٣٦٥).

وعليه يمكن تعريف الانزياح المركب الاقتراني بأنه: آلية دلالية يُعاد من خلالها إنتاج المعنى داخل النسيج النصي عبر تفعيل التشبيه وحده، لا بوصفه أداة إيضاح، وانما بوصفها استراتيجية تعبير، تتوالد داخلها سلسلة من التشبيهات المتجاورة والمتفاعلة، لتُنشئ فيما بينها شبكة من العلاقات القائمة على مجال المشابهة، ويتأسس منها المعنى عبر اندماج هذه العلاقات لا من كل



تشبيهه على حدة. وهذا ما يجعل التشبيه بنية متحركة وفاعلة، تنقل الخطاب من مستوى التعبير المباشر إلى معنى أوسع قابل للتأويل، من دون أن يغادر حدوده النوعية -التشبيه- إلى أنماط بيانية أخرى.

ثانيًا: الانزياح المركّب الاستبدالي:

ينبثق الانزياح المركّب الاستبدالي من الأساس البلاغي الذي تمثله الاستعارة في التراث العربي، حيث تقوم على نقل الدلالة من مجالها الأصلي إلى مجال آخر عبر إحلال لفظ محلّ آخر، في علاقة غير مباشرة تُدرك ضمناً. وقد أشار البلاغيون إلى تفوّق الاستعارة على التشبيه من حيث قدرتها الإيحائية، لأنها لا تُظهر وجه الشبه صراحة، بل تتركه مستبطناً في البنية اللغوية، مما يفتح المجال أمام تعدد الدلالات (الجرجاني، د.ت، ص ٩٣).

غير أنّ هذا التصور يتجاوز في النقد الحديث حدود الاستعارة المفردة، إذ يُنظر إليها بوصفها بنية قابلة للتكاثر داخل النص، من خلال تتابع عمليات الإحلال الدلالي وتكرارها في سياق واحد. فكل استعارة تمثل انحرافاً جزئياً عن المعيار، إلا أنّ اجتماع هذه الانحرافات داخل بنية واحدة يؤدي إلى تشكّل مجال دلالي مركّب، تتآزر فيه العلاقات الاستبدالية لإنتاج معنى موّحد. وهذا ينسجم مع التصور الذي يربط الشعرية بنظام من التحويلات اللغوية المتعددة، لا بظاهرة مفردة (كوهين، ٢٠١٤، ص ٤٦).

وفي هذا الإطار، يمكن فهم هذا النمط بالاستناد إلى المحور الاستبدالي الذي بلوره جاكوبسون، حيث تقوم العملية الأسلوبية على اختيار عنصر لغوي بديل غير متوقع ضمن سلسلة من الإمكانيات، بما يؤدي إلى إحداث انزياح داخل الخطاب (جاكوبسون، ١٩٨٨، ص ٣٣). وعندما تتكرر هذه الاختيارات داخل النص، فإنها تتحول إلى نسق من الإحلالات المتتابعة، ينتج عنه انزياح مركّب يتجاوز حدود الاستخدام المفرد.

ومن هنا تُفسّر تسمية هذا النمط بالاستبدالي، لقيامه على تكرار

فعل الاستبدال داخل البنية النصية، بحيث تتداخل الاستعارات وتتفاعل لتشكّل شبكة دلالية مترابطة. فالمعنى لا يُبنى من خلال استعارة واحدة، بل من خلال تضافر عدد من الاستعارات التي تعيد صياغة الموضوع عبر نقله بين حقول دلالية مختلفة، الأمر الذي يوسّع أفق التأويل ويمنح النص كثافة إيحائية ملحوظة (المسدي، ٢٠٠٦، ص ١٠٦).

ويظل شرط الوحدة الدلالية عنصرًا حاسمًا في هذا النمط، إذ ينبغي أن تتجه الاستعارات المترابطة نحو معنى مركزي واحد، بحيث تسهم في تعزيزه لا في تشتيته. فالانزياح لا يكتسب قيمته إلا إذا كان منظّمًا ضمن بنية دلالية منسجمة، لا مجرد تراكم عشوائي للصور (حشاشي، ٢٠٢٥، ص ٣٦٥).

وعليه، يمكن تحديد الانزياح المركب الاستبدالي بأنه: نسق دلالي يتشكّل من تكرار الاستعارة داخل سياق واحد، حيث تتكامل عمليات الإحلال الدلالي لتوليد معنى مركزي موّحد، من خلال شبكة من العلاقات الاستبدالية المتفاعلة داخل النص.

ثالثًا: الانزياح المركّب بالمجاورة:

يقوم هذا النمط على الامتداد البلاغي لمفهوم الكناية في التراث العربي، حيث تتحقق الدلالة عبر الإشارة غير المباشرة إلى المعنى من خلال لازم من لوازمه، دون التصريح به صراحة. وقد أدرك البلاغيون مبكرًا أن هذا الأسلوب يتيح إمكانًا إيحائيًا يتجاوز حدود التعبير المباشر، لأن العلاقة بين اللفظ والمعنى تقوم على نوع من الملازمة التي تستدعي التأويل (الهاشمي، ٢٠١٠، ص ٢٢٥).

غير أنّ الكناية، في ضوء التصورات الأسلوبية الحديثة، لم تعد تُفهم باعتبارها ظاهرة منفردة، بل بوصفها بنية تتسع داخل النص من خلال تكرار هذا النمط من الإحالة غير المباشرة. فكل كناية تمثل تحولًا جزئيًا عن الاستعمال المباشر، لكن تتابعها داخل السياق يؤدي إلى نشوء بنية دلالية تتأسس على الإيحاء والتلميح، حيث تتداخل العلاقات القائمة على الملازمة لتنتج معنى موّحدًا لا يُدرك من عنصر



واحد، بل من مجموع العلاقات التي تربط بين العناصر. ويستند هذا التصور إلى ما طرحه جاكوبسون في حديثه عن المحور التركيبي، الذي يقوم على تنظيم الوحدات اللغوية وفق مبدأ التجاور داخل السياق، بحيث تتحدد العلاقات بينها من خلال تتبعها (جاكوبسون، ١٩٨٨، ص ٣٣). وفي هذا الإطار، تُفهم الكناية بوصفها تجسيداً لهذا النمط من العلاقات، إذ تُبنى دلالتها على ترابط العناصر داخل السياق، لا على تصريح مباشر بالمعنى.

ومن هذا المنطلق، تُسمّى هذه البنية بالانزياح المركب بالمجاورة، لأنها تعتمد على تكرار العلاقات المجاورة داخل النص، حيث تتكامل الإشارات غير المباشرة لتشكّل نسقاً دلاليّاً مترابطاً. فالمعنى هنا لا يُستخرج من جملة بعينها، بل من تفاعل مجموعة من العلامات التي تتجاور وتتكامل في توجيه الدلالة نحو مقصد واحد.

ويؤدي هذا التراكم الكنائي إلى تعميق التجربة القرائية، إذ يُلزم المتلقي بتتبع الروابط الخفية بين مكوّنات النص، مما يوسّع مجال التأويل ويكثّف الأثر الجمالي. وقد أشار بعض النقاد إلى أن مثل هذا البناء يساهم في تعزيز البعد الإيحائي للنص، ويجعله أكثر قدرة على استيعاب دلالات متعددة ضمن إطار موّحد (المسدي، ٢٠٠٦، ص ١٠٦). ومع ذلك، يبقى شرط الانسجام الدلالي أساساً في تحقق هذا النمط، إذ ينبغي أن تتضافر الكنايات داخل سياق واحد لخدمة معنى مركزي، بحيث لا تتحول إلى إشارات متفرقة. فالقيمة الأسلوبية لا تتحقق بكثرة الإيحاءات، بل بقدرتها على الانتظام داخل بنية متماسكة (خليل، ١٩٩٧، ص ٧٧).

وعليه، يمكن تحديد الانزياح المركب بالمجاورة بأنه:

نسق دلالي يتكوّن من تتابع الكنايات داخل سياق واحد، حيث تتفاعل العلاقات القائمة على الملازمة والتجاور لتوليد معنى مركزي موّحد، من خلال شبكة من الإشارات غير المباشرة المتكاملة.

الخاتمة

في ضوء ما تقدم، يتبين أن مفهوم الانزياح لم يعد يفهم في إطار كونه ظاهرة أسلوبية جزئية أو خروجاً عارضاً عن المألوف اللغوي، بل غداً مبدأً بنيوياً فاعلاً في تشكيل الخطاب الأدبي، تتأسس عليه شعرية النص وآليات إنتاج دلالاته. وقد أسهمت الدراسات اللسانية والأسلوبية الحديثة عند كل من جاكوبسون وكوهن وريفاتير في نقل هذا المفهوم من حدوده البلاغية التقليدية إلى أفق نظري أوسع، يعنى بدراسة العلاقات الداخلية للنص، وكيفية إعادة تنظيمها على نحو يخلق دلالات جديدة.

وقد سعى هذا البحث إلى تأصيل مفهوم الانزياح المركب بوصفه امتداداً للانزياح البسيط، قائماً على تراكم ظاهرة انزياحية داخل بنية واحدة، بحيث تتأزر هذه الانحرافات الجزئية لتشكل مجالاً دلالياً أوسع، دون أن تفقد وحدتها المركزية. وانطلاقاً من هذا التصور، أمكن التمييز بين ثلاثة أنماط رئيسة للانزياح المركب، هي: الاقتتراني، والاستبدالي وبالمجاورة، وذلك استناداً إلى طبيعة الأداة البلاغية التي يبنى عليها كل نمط وقد أظهر التحليل أن:

- ▶ الانزياح المركب الاقتتراني يقوم على تكرار علاقات المشابهة (التشبيه) داخل السياق، بما ينتج شبكة دلالية قائمة على التماثل.
- ▶ في حين يعتمد الانزياح المركب الاستبدالي على تتابع عمليات الاحلال (الاستعارة)، مما يفضي إلى إعادة تشكيل المعنى عبر نقل الدلالة بين الحقول المختلفة.
- ▶ أما الانزياح المركب بالمجاورة فيتأسس على تكرار العلاقات القائمة على الملازمة (الكناية) حيث يتولد المعنى من تفاعل الإشارات غير المباشرة داخل السياق.

ومن ثم، يتضح أن القيمة الأسلوبية للانزياح المركب لا تكمن في مجرد تعدد الأدوات البلاغية، بل في قدرتها على الانتظام داخل بنية دلالية منسجمة، تتجه نحو معنى مركزي موحد. فالتراكم الانزياحي، متى ما كان وظيفياً وموجهاً، يسهم في تعميق الأثر الجمالي، وتوسيع أفق



التأويل، وتحويل النص من مستوى التعبير المباشر إلى مستوى أكثر كثافة وتعقيدا.

ويمكن القول في الختام أن الانزياح المركب يمثل أفقا خصباً للدراسات الأسلوبية، لما يتيح من إمكانات تحليلية تكشف عن عمق البنية النصية، وتبرز فعالية اللغة في إنتاج المعنى. وهو ما يدعو إلى توسيع البحث في هذا المجال، عبر تطبيقه على نصوص أدبية متنوعة، واستثمار إمكاناته في الكشف عن مستويات جديدة من الشعرية.

المصادر

- ابن أبي بكر، محمد بن أبي بكر (ابن القيم الجوزية). (د.ت). الفوائد.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (١٩٨٦). الخصائص (ج ٢). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٧). لسان العرب (ط ٦، ج ١٠). بيروت: دار صادر.
- أبو ديب، كمال. (١٩٨٧). في الشعرية (ط ١). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.
- أبو أصبع، صالح خليل. (٢٠٠٩). الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة بين عامي ١٩٤٨-١٩٧٥: دراسة نقدية. منشورات جامعة فيلادلفيا، دار البركة للنشر والتوزيع.
- البحراني، كمال الدين ميثم بن علي. (١٤٢٧هـ). شرح نهج البلاغة (ط ١). قم: أنوار الهدى.
- حشايشي، سهام. (٢٠٢٥). بلاغة الانزياح الاستبدالي في الكتابة الشعرية المعاصرة. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، ١٤(١)، ٣٦٥.
- خليل، إبراهيم. (١٩٩٧). الأسلوبية ونظرية النص (ط ١). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الدوسري، محمد. (٢٠٢٥). الأسلوبية وتحليل الخطاب في ضوء نظرية ريفاتير.
- ريفاتير، ميشيل. (١٩٩٣). معايير تحليل الأسلوب. ترجمة حميد لحمداني. الدار البيضاء: دار النجاح الجديدة.
- الزبيدي، محمد مرتضى. (د.ت). تاج العروس من جواهر القاموس (ج ٢).
- السد، نور الدين. (١٩٩٧). الأسلوبية وتحليل الخطاب: دراسة في النقد العربي الحديث (ج ١). الجزائر: دار هومة.
- سيويو، عمرو بن عثمان. (د.ت). الكتاب (ج ١). تحقيق عبد السلام هارون.
- الشرع، فائز هاتو عزيز. (د.ت). الصورة الكلية في الشعر العربي



الحديث بين الحربين العالميتين (رسالة ماجستير). الجامعة
المستنصرية.

- شريفة بنت إبراهيم بن محمد بن طالب. (١٩٨٧). إشكالية المصطلح
النقدي المعاصر. مجلة فصول، ٧ (٣-٤)، ٧١.
- صالح، بشري موسى. (١٩٩٤). الصورة الشعرية في النقد العربي
الحديث.
- السامرائي، إبراهيم. (١٩٨٧). فقه اللغة المقارن. بيروت: دار العلم
للملايين.
- عتيق، عبد العزيز. (د.ت). علم المعاني. القاهرة: دار النهضة العربية.
- عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٤). علم الدلالة.
- عمر، أحمد مختار. (٢٠٠٨). معجم اللغة العربية المعاصرة (ط ١، ج ١).
القاهرة: عالم الكتب.
- فضل، صلاح. (د.ت). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. (د.ت). القاموس المحيط (ج ١).
- الجرجاني، عبد القاهر. (١٩٨٣). دلائل الإعجاز (ط ١). تحقيق محمد
رضوان الداية وفايز الداية. دمشق: دار قتيبة.
- الجرجاني، عبد القاهر. (د.ت). أسرار البلاغة. جدة: دار المدني.
- الجرجاني، علي بن محمد. (٢٠٠٣). التعريفات (ط ٢). بيروت: دار الكتب
العلمية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. (١٩٩٠). تاج اللغة وصحاح العربية (ط ٤،
ج ١). بيروت: دار العلم للملايين.
- كوهن، جان. (١٩٩٠). بنية اللغة الشعرية (ترجمة أحمد درويش).
القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- كوهن، جان. (٢٠١٤). بنية اللغة الشعرية (ترجمة محمد الولي ومحمد
العمري، ط ٢). الدار البيضاء: دار توبقال.
- مجمع اللغة العربية. (٢٠٠٨). المعجم الوسيط (ط ٤). القاهرة: مكتبة
الشروق الدولية.
- مجمع اللغة العربية. (د.ت). المعجم الوسيط (ج ١). القاهرة: دار

الفكر .

- المراغي، أحمد مصطفى. (١٩٩٣). علوم البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المسدي، عبد السلام. (١٩٨٣). النقد والحداثة. بيروت: دار الطليعة.
- المسدي، عبد السلام. (٢٠٠٦). الأسلوبية والأسلوب (ط٥). بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.
- ناظم، حسن. (١٩٩٤). مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم (ط١). بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الهاشمي، أحمد. (٢٠١٠). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ط٣، بيروت: دار المعرفة.
- ويس، أحمد محمد. (٢٠٠٥). الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية (ط١). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- ياكوبسون، رومان. (١٩٨٨). قضايا شعرية (ترجمة محمد الولي ومبارك حنون). الدار البيضاء: دار توبقال.



References

- Abu Deeb, K. (1987). On Poetics (1st ed.). Beirut: Arab Research Foundation.
- Abu Asba', S. K. (2009). The Poetic Movement in Occupied Palestine (1975–1948): A Critical Study. Philadelphia University Publications, Al-Barakah Publishing.
- Al-Bahrani, K. al-Din M. b. 'A. (1427 AH). Commentary on Nahj al-Balagha (1st ed.). Qom: Anwar al-Huda.
- Al-Dosari, M. (2025). Stylistics and Discourse Analysis in Light of Riffaterre's Theory.
- Al-Fayruzabadi, M. b. Y. (n.d.). Al-Qamus al-Muhit (Vol. 1).
- Al-Hashimi, A. (2010). Jawahir al-Balagha (3rd ed.). Beirut: Dar al-Ma'rifa.
- Al-Jurjani, 'A. b. 'A. (1983). Dala'il al-I'jaz (1st ed.). Ed. M. R. al-Dayya & F. al-Dayya. Damascus: Dar Qutayba.
- Al-Jurjani, 'A. b. 'A. (n.d.). Asrar al-Balagha. Jeddah: Dar al-Madani.
- Al-Jurjani, 'A. b. M. (2003). Al-Ta'rifat (2nd ed.). Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Al-Jawhari, I. b. H. (1990). Taj al-Lugha wa Sihah al-'Arabiyya (4th ed., Vol. 1). Beirut: Dar al-'Ilm lil-Malayin.
- Al-Masdi, 'A. (1983). Criticism and Modernity. Beirut: Dar al-Tali'a.
- Al-Masdi, 'A. (2006). Stylistics and Style (5th ed.). Beirut: Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida.
- Al-Maraghi, A. M. (1993). Rhetorical Sciences. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.
- Al-Samarrai, I. (1987). Comparative Philology. Beirut: Dar al-



'Ilm lil-Malayin.

- Al-Sadd, N. (1997). Stylistics and Discourse Analysis: A Study in Modern Arabic Criticism (Vol. 1). Algeria: Dar Houma.
- Al-Shar', F. H. A. (n.d.). The Holistic Image in Modern Arabic Poetry Between the Two World Wars (Master's thesis). Al-Mustansiriya University.
- Atiqah, 'A. (n.d.). Science of Meanings. Cairo: Dar al-Nahda al-'Arabiyya.
- Cohen, J. (1990). The Structure of Poetic Language (Trans. A. Darwish). Cairo: General Egyptian Book Organization.
- Cohen, J. (2014). The Structure of Poetic Language (Trans. M. al-Wali & M. al-'Umari, 2nd ed.). Casablanca: Dar Toubkal.
- Ibn Jinni, A. al-F. 'U. (1986). Al-Khasa'is (Vol. 2). Cairo: General Egyptian Book Organization.
- Ibn Manzur, M. b. M. (1997). Lisan al-'Arab (6th ed., Vol. 10). Beirut: Dar Sadir.
- Ibn Qayyim al-Jawziyya, M. b. A. B. (n.d.). Al-Fawa'id.
- Jakobson, R. (1988). Poetic Issues (Trans. M. al-Wali & M. Hannoun). Casablanca: Dar Toubkal.
- Khalil, I. (1997). Stylistics and Text Theory (1st ed.). Beirut: Arab Institution for Studies and Publishing.
- Majma' al-Lugha al-'Arabiyya. (2008). Al-Mu'jam al-Wasit (4th ed.). Cairo: Al-Shorouk International Library.
- Majma' al-Lugha al-'Arabiyya. (n.d.). Al-Mu'jam al-Wasit (Vol. 1). Cairo: Dar al-Fikr.
- Nazem, H. (1994). Concepts of Poetics: A Comparative Study in Origins, Methodology, and Concepts (1st ed.). Beirut: Arab Cultural Center.
- Metwali, Khalaf, (2023) "Renewing the advocacy discourse



and confronting intellectual deviation is a critical study.”,
INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC
STUDIES, , (VOL,1),(ISSUE,3), PP:360-301.

- Riffaterre, M. (1993). Criteria for Stylistic Analysis (Trans. H. al-Hamidani). Casablanca: Dar al-Najah al-Jadida.
- Salih, B. M. (1994). The Poetic Image in Modern Arabic Criticism.
- Sharifa bint Ibrahim b. M. (1987). The problem of contemporary critical terminology. Fusul Journal, 71, (4-3)7.
- Wiss, A. M. (2005). Deviation from the Perspective of Stylistic Studies (1st ed.). Beirut: University Institution for Studies and Publishing.
- 'Umar, A. M. (2004). Semantics.
- 'Umar, A. M. (2008). Modern Arabic Dictionary (1st ed., Vol. 1). Cairo: Alam al-Kutub.



الجامعة الإسلامية بنيسوتا

Islamic University of Minnesota

المركز الرئيسي IUM